

او الصحفيين بانه كان قبل عشرين او ثلاثين سنة صديقا لاحد الشيوعيين ، لان يفقد هذا الرجل مركزه ومكانته في المجتمع ويصبح شريدا منبوذا .

لقد طفى جو من الرعب والارهاب على البلاد كلها ، وكانت القوائم السوداء تعد في الاوساط السياسية والمالية والفكرية والفنية ، لتتضمن أسماء « الحمر » غير المرغوب فيهم . وكان اصحاب الاسماء في هذه القوائم يفصلون من وظائفهم ، واحيانا يقدمون الى المحاكمة بتهمة التآمر على سلامة الدولة ، والاتصال باعدائها (اي الكتلة الشيوعية) وفي هوليوود ، مثلا ، تولى الممثل اليميني جون وين الاشراف على اعداد قائمة سوداء تضمنت أسماء عدد من أبرز المخرجين ومؤلفي السيناريو ، مما اضطر هؤلاء المنبوذين الى مغادرة هوليوود ، وحتى الولايات المتحدة في بعض الحالات ، بعد ان رفضت جميع الشركات التعامل معهم . واضطر المخرج السينمائي والمسرحي الشهير (ليا تازان ان يتبرأ من يسارته السابقة عندما وقف امام اللجنة المكارثية ليثني باصدقائه السابقين . ثم اخرج فيلما يدعى « ذئب الميناء » (بطولة مارلون براندو) يدور موضوعه حول واجب المواطن بان يبلغ السلطات باسماء الاشخاص الخارجين على القانون ، وهذا الفيلم حاز على جائزة أوسكار .

كان الشعب الامركي يجلس منبهر الانفاس امام شاشة التلفزيون كل مساء ليتابع سلسلة التحقيقات الجلودرامية التي كان السناتور المخيف يقوم بها في كل ركن من اركان الدولة . واصبحت العادة ان يمر كل منهم بسلسلة طقوس لا تتغير . فهو يقف امام لجنة التحقيق ، ويعترف بذنبه حتى اذا كان هذا الذنب هو صداقته القديمة ليساري وليس أكثر . وبعد ذلك ، كان عليه ان يعلن تبرؤه من ماضيه المخجل ، ويشدد على ولائه المطلق لنظام الحكم في الولايات المتحدة . ولكن حتى ذلك لم يكن كافيا ، بل كان عليه ان يعين بالاسماء كل شخص من معارقه يشتمه بيسارته ، وبالتالي عديم اخلاصه للنظام الامركي . وهذا كان اصعب جزء من شهادته ، اذ عليه ان يثني باصدقائه ومعارفه ، حتى وان كان واثقا من براعتهم واخلاصهم لوطنهم . فهذا هو الثمن المطلوب لتخليص نفسه واسرته من مصير المنبوذين . لقد ارهب مكارثي (ولم يكن أكثر من شيخ انتخب حديثا في مجلس الشيوخ) امريكا كلها ، وحتى رئيس الجمهورية ايزنهاور ، صاحب الشعبية الواسعة كبطل من ابطال الحرب العالمية الثانية ، ووزير خارجيته القوي جون فوستر داليس ، لم يتمكن من الوقوف بوجهه . كما ان السناتور الليبرالي جون ف. كندي حافظ على صمته في تلك الفترة ، مبررا ذلك فيما بعد بان مكارثي كان صديقا لابيه جوزف كندي ، ولذا لم يشأ ان يتعرض لاساليبه بالنقد . والطريف ان كندي الف بعد ذلك كتابا عن الجراءة السياسية دعاه : صور من الشجاعة ، حاز على جائزة بوليتزر بسببه !

المهم في هذا السياق هو التدليل على فعالية الحملات المنظمة التي تستهدف شخصا او مجموعة اشخاص ، فتعرضهم لحالة حصار من الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والايديولوجية ، وتختنقهم خنقا . انها تصورهم على أنهم اعداء المجتمع والوطن ولذا يجب مطاردتهم دون هوادة او شفقة . وهذا هو التكنيك الذي تتبعه الحركة الصهيونية في محاربة من تعتبره خصما لها .

وبين الاشخاص الذين تعرضوا لهذه الحملة قبل سنوات : هوجكن ، احد محرري صحيفة التايمز اللندنية ، وهو مختص بالشؤون العربية . فقد كتب مقالا انتقد فيه باسلوب معتدل سياسة القمع التي تنتهجها اسرائيل في الاراضي المحتلة . واذا بعاصفة هوجاء تنفجر فوق رأسه . فقد امتلأ عمود الرسائل في التايمز على مدى ايام